التّناص القرآني واتجاهاته في ديوان الشيخ آدم عبد الله الإلوري

داود عبد العزيز أونييدي
08023269062 daud.oniyide@yahoo.com

مقدمة

القرآن الكريم أكبر الكتب العربية من حيث براعة أساليبه وانسجام تراكيبه التي لا يقاس ولا يقاس عليه. فطالما يتعاطى الأدباء والشّعراء بعض هذه الخصائص في أعمالهم الأدبية نظماً ونثراً على قدر طاقتهم. والتّناص القرآني أحد التّقنيات الفنية القرآنية الذي اهتمّ به الأدباء هدفاً للوصول إلى الدّرجات الفنية الممتازة. وكان الشيخ آدم عبد الله الإلوري أحد أعلام الكُتاب في إفريقيا عامة وفي نيجيريا خاصة، له إنتاجات أدبية عديدة تمتاز بأنواع الخصائص الفنية. ونحن في هذه المقالة المتواضعة نهدف إلى تسليط الضوء البصيص على تجليات التّناص القرآني واتجاهاته في ديوان الشيخ المذكور للكشف عن مدى تعامله مع النّصوص القرآنية وتأثيرها في البناء الفني في أشعاره وإبراز ثقافته ودرايته بالقرآن الكريم.

مفهوم التّناص

مصطلح التّناص أو التّناصية مصطلحٌ حديثٌ في الآداب العالمية بما يقابله من المصطلح الفرنسي (Intertextuality). وهي كلمة تتكون من كلمتين (Inter) الداخل (Textuality) النّصية. ثمّ أصبح هذا التركيب المعجمي (Intertextuality) كما صاغته جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) بأنه الإشارة إلى العلاقات المتبادلة بين نص ونصوص أخرى[1] يعد هذا المصطلح من القضايا المعاصرة إذ برز لأول مرة من خلال الدّراسات اللّسانية على يد العالم الفرنسي ميخائيل باختين (Mikael Mikhailovich) من خلال كتابه فلسفة اللّغوية. ثمّ جاءت من بعده إحدى تلميذاته جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) بتطوير هذا المفهوم في ستينيات من القرن العشرين

في الدّراسات الأدبية حينما نظرت إلي نص الشّعر بوصفه نتاجاً لنصوص سابقة، يعقد معها النّص الجديد علاقة تبادل حواريّ[2].

والتّناص في اللغة العربية لفظٌ مشتقٌ من "نصص" ومن معنيه الإظهار، أو الإيضاح، أو الانتظام. وعلي هذا يقول ابن دريد (ت 121 هـ)" نصصت الحديث أنصه نصاً إذا أظهرته، ونصصت الحديث إذا عزوته إلى محدثك به.[3] ويقول لسان العرب هو الاتصال، مثلاً يقال هذه الفلاة تناصي أرض كذا او تواصيها وتتصل بها.[4] وأما في المعاجم العربية الحديثة وهو الازدحام، جاء في المعجم الوسيط تناص القوم ازدحموا.[5] وهذا المعنى الأخير يقترب من مفهوم التناصية بصيغته الحديثة فتداخل النصوص قريب جدا من ازدحامها في نص أخرى.

وأما صيغته الصرفية على وزن "تفاعل" بما تحمله هذه الصيغة الإشتقاقية من معاني المشاركة والتداخل. فالتّناص إذاً هو تشكيل نصّ جديد من نصوص سابقة أو معاصرة، بحيث يغدو النّصّ المتناص خلاصةً لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها، وأعيدت صياغتها بشكل جديد، بحيث لم يبق من النّصوص السّابقة سوى مادّتها، وغاب" الأصل" فلا يدركه إلاّ ذو الخبرة والمران.[6] وعند عبد الله الغذامي أنه نص يتسرب الى داخل نص آخر، يجسد المدلولات سواء وعى الكاتب بذلك أم لم يع)[7] ويراه محمد مفتاح أنه تعلق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة .كما يري فيه ظاهرة لغوية معقدة يصعب ضبطها وتقنينها، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي ومعرفته الواسعة وقدرته على التّرجيح مع الاعتماد على مؤشرات في النّص تجعله يكشف عن نفسه.[8] نفهم من هذه التعريفات أن التّناص هو تداخل نص في نص آخر سابق عليه، وأصبح نصان، نص سابق ونص لاحق وبينهما علاقة خاصة قد تبدأ بالمس الرفيق وتنتهى بالتمازج الكلي حتى يصعب الفصل بينهما.

وعلى الرّغم من أنّ التّناص يبدو مصطلحاً جديداً في النّقد الغربي، هو ليس بالفن الجديد في الأدب العربي، فقد كان له الجذور في التّراث النّقدي العربي حيث يُطلق عليه مسميّات عديدة تُدرس صورها تحت مصطلحات مختلفة منها: توارد الخواطر، التّوليد، والإبداع، التّضمين، والاقتباس، والسّرقات الشّعرية، سرقة المعاني، التّداخل النّصي، العلاقة بين النّصوص، التّفاعل النّصي أو التّداخل النصي أو المتعلقات النّصية. وكل هذه المصطلحات تشير إلى المفاهيم

الواحدة. وهو باب منذ القديم لا يسلم منه أحد.[9] يلاحظ ابن رشيق بقوله "هذا باب متّسع جداً لا يقدر أحد من يدّعي أحد من الشعراء السلامة منه".[10]

أنواع التناص

1. **التّناص الموضوعي أو الدّاخلي أو غير المباشر:** هو التّناص الذي يستنبط من النص الذى يرجع إلى تناص الافكار أو المقروء الثّقافي أو الذّاكرة التّاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها وتفهم من تلميحات وإماءاته النّص وشفراته وترميزاته.[11]
2. **التّناص الشّكلي أو الخارجي أو المباشر:** هو اجتراء قطعة من النص أو النصوص السّابقة ووضعها في النّص الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النّصّ. وهذا النوع من التّناص ينقسم إلى قسمين:

- التّناص الشّكلي الكامل الذي هو وضع نص مستقلّ ومتكامل بذاته في نص لاحق بعد اقتطاعه من سياق نّص غائب وذلك بعد التّغيير أو التّحوير الذي أجراه في بنيته الأصلية بالزّيادة أو النّقصان أو التقديم أو التّأخير، الخذف أو الإضافة، سواء هذا التّغيير بسيطاً أو معقداً.
- التّناص الشّكلي الجزئي الذي هو وضع عبارات أو جمل أو تراكيب غير مكتمل في نص لاحق مقتطفة من نص غائب من حيث بعض مفرداته أو كلماته أو شبه جمله أو جمله غير التامة.

مظاهر التّناص القرآني

فقد تطوّر التّناص القرآنيّ من ظاهرة التّناص في العصر الحديث الذي هو عبارة عن نسيج من الاقتباسات والإحالات والأصداء ببعض الخصائص القرآنية من حيث ألفاظه وصياغته وأساليبه ومعنيه وأفكاره في الأعمال الأدبية الجديدة للرونق والبهاء والتجميل. لأن القرآن أكبر الكتب العربية ببراعته أساليبه وانسجام تراكيبه ومعنيه الرائعة. يقول أبو الوليد: "إني سمعتُ قولا ما سمعتُ مثلَه قط، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطعوني واجعلواها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه"[12]. ولعل على هذه الخصائص يقول محمّد أبو شهبة "القرآن هو كتاب العربية الأكبر ورموز وحدة العرب الكبرى، وجامعهم العظمي.

وبه اكتسبت لغة العربية بقاءها وحيويتها. وبه صار العرب أمة وحدة مؤمنة موحدة متآلفة القلوب متجانسة المزاج متحدة للّسان متشابهة البيان. ومنه استمد العرب علومهم ومعارفهم فما من علم من علوم إلاّ وله بالقرآن سبب وله منه وِرْدُ ومدد ولولا هذا الكتاب العربي المبين لاستعجمت لغة العرب"[13]

ومن هذا المنطلق، نفهم أن التّناص القرآني بمفهومه العام هو العلاقة الوثيقة بجميع مجالات حياة الإنسان. وأما بالنسبة إلى مفهومه الخاص حيث هو استخدام بعض نصوصه وأفكاره في الأعمال الأدبية الإبداعية. فقد استخدمه أغلب الشّعراء حسب ذوقهم وفكرتهم. ذلك لأهداف متنوعة منها:

- دلالاته العميقة ومضامينه السّامية.
- لإعطاء النّص الأدبي الرونق والبهاء.
- لإعطاء العمل الأدبي ثقالا وتجميلا.
- لكشف وإظهار التراث الإسلامي.

تجليات التّناص القرآني في ديوان الشّيخ آدم عبد الله الإلوري

كان الإلوري من أبرز الشّخصيات الإسلامية في غرب إفريقيا، وواحد رموز الأدب العربي في نيجيريا، وقد أثري المكتبة العربية في إفريقية عامة ونيجيرية خاصة. وهو آدم عبد الباقي بن حبيب الله عبد الله. وُلد في 1917م وتوفي في 1992م. بدأ حياته العلمية على يد والده. ثمّ على أيدى بعض مشايخ إلورى كصالح بن مالك الأهوسا المعروف بأسنيوبو Esin ni (yoo biwa) والشيخ عمر الأربجي الإلوري عام 1939م، ثمّ انتقل إلى الشيخ آدم نامجي الكنوي. ثمّ قام بالرحلة العلمية إلى البلدان العربية 1942م مثل القاهرة والسودان العربي والمملكة العربية للتثقيف. ثمّ تمّ على يده تأسيس مدرسته المعروفة بـ "مركز للتعليم العربي الإسلامي" في عام 1952م بـ أبيكوتا (Abeokuta) أولاً، ثم نقلها إلي أغيغي لاغوس عام 1955م. فقد تخرج على يديه عدد من الطلاب من أبناء نيجيريا وما جاورها من البلدان بغرب أفريقيا مثل غانا، وبينين، وتوغو، وساحل العاجي وغيرها. وهم اليوم الشاغلون بالميادين شتى، منهم أئمة المساجد وخطباء الجوامع، والدعاة، والمحاضرين في أوساط الأكاديميين، ورجال الدبلوماسيين.[14]

فقد كانت للألوري مؤلفات كثيرة في شتى المجالات العلمية، وعلى الرغم من أنه كان مشهورا بالنّثر، لم يمنعه ذلك أن يكون شّاعرا موهوبا له عدة القصائد القيّمة في المجالات الإسلامية المختلفة. فصارت أشعاره متناولة ومتداولة على ألسنة النّاس في والمجتمع الإسلامي والمدارس الإسلامية. ومن خصائص أشعاره التّناص القرآني على أنواع صوره. وفيما يلي بعض الأمثلة في ذلك:

التناص القرآني الموضوعي في ديوان الإلوري

وبالنّسبة إلى مفهوم التّناص القرآني الموضوعي أنه اتخاذ فكرة العمل الإبداعي من القرآن الكريم، وليس من المبالغة فيه أن جميع دراساته تعالج القضايا الإسلامية التي تستنبط من القرآن الكريم، لذلك تتناول بعض ديوانه الآداب الإسلامية. ومن الأمثلة في ذلك:

1. قصيدته التي سُمي بـ "مع الله" وهي القصيدة التى تحتوي على 20 بيناً، ومطلعها

مع الله كونوا أيا مسلمون لكي لا تكون مع المجرمين
فكونوا مع الله يا صائمون كما كنتوا عند صوم الشهر
فكن مع الله يا صائمون بصبر وحلم وسر القـــدر[15]

فبتأمل إلى عنوان هذه القصيدة "مع الله" ومضمونه نعرف باليقين أنه يدعو فيها المسلمين جميعا إلى تمسك بالأخلاق الفضيلة وترك الأخلاق الرزيلة سراً وجهرا ثمّ أنه يوجه نصيحته إلى الصائمين خاصة بتقوى الله –التي هي غاية صوم رمضان–في كل حركاتهم وأفعالهم، ومصداق هذا في قوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة/184)

ثمّ قال:

مع الله في نبذ ما قد نهي = مع الله بالسمع فيما أمر
مع الله بيعكم والشراء = مع الله في الفرد والمؤتمـــر[16]

وأصل هذه الأفكار والأقوال هو قوله تعالى "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (آل عمران/104)

مع الله فـــي حكمكم = مع الله فيما بدا واستتر
مع الله دوما ولا تغفـــلوا = مع الله حقا إلى المستقر[17]

ومصداق هذه الأفكار قوله تعالى" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا" (النساء/58)

2. قصيدته في الزهد حيث يدعو الناس **إلى التّقشف في الحياة الدّنيوية ومتاعها والاشتغال بالآخرة وملازمة عبادة الله؛ لأن الزهد** نزعة دينية تستمد أصوله من المفاهيم الإسلامية. كما يقول الله تعالي: "وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون" (فاطر/15) وقال أيضاً-"قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وللآخرة خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً" (الأعراف/95). ثمّ يقرر بأنه من الضروري تحقير الدنيا، وإنذار بسرعة زوالها، وانقضاء نعيمها وعلم عنها بدار الغرور والفتنة وأن الآخرة هي دار القرار التي هي خير وأبقي. وهو يقول في قصيدته

نعيمك في الدنيا نعيم محـــــدد = وعيشك فيها ما سوف ينفد
إذا كنت في الدنيا تروح وتغتدي = تسعى بأشتات المنى تتــجدد
تذكر بأن الموت يطرأ فجـــــأة = على غرة ما ليس عندك موعد[18]

إن الأفكار في هذه الأبيات الشعرية تعود إلى قوله تعالى: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ" (آل عمران/185) ثمّ قال:

فإن وراء الموت دارين فيهمـــا = عذاب مقيم أو نعيم مسرمـــــــــد
بيوم حساب المرء يؤتى كتابـــه = يجد محضرا كل الذي قدمت يـــــد[19]

فالقرآن يقول في مثل هذه الأقوال "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيرًا، وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا، وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا، إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا" (الانشقاق/ 7-14)

3. قصيدته التي تُعرف بـ "هل أجبروك" وهي مناجاةٌ جادت بها قريحته في سنة 1954م. يتضرع بها إلى الله تعالى للكشف عن الهموم والأحزان التي حلّت به. ومما ليس فيه أدي شك، فإن تضرع إلى الله عند المصيبة كان من الآداب الإسلامية طبقاً لقوله تعالى "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (البقرة/186) وفي قوله أيضاً: قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... (الأنعام/63) وهو يقول في هذا المجال:

يا رب قد ضقت ذرعا بالهموم وقد = رجوتُ فضلك أصلا ثم لـــم أزل
أرجوك والحال لا يخفى عليك على = ما كان لي من حياة البؤس والعطل[20]

التّناص القرآني الشّكلي في ديوان الإلوري

وبالنسبة إلى التّناص القرآن الشّكلي الذي هو اتخاذ ببعض المفردات أو العبارات من النّصوص القرآنية في بناء النّصوص الأخرى. وهذا من أبرز التّقنيات الفنية التي اهتمّ بها الشّعراء. والألورى ليس بالغريب في هذا المجال، فقد استخدم التّناص الشكلي على أنواع صورها، ومنها:

1. استخدام المفردات من القرآن: يسعى الإلوري إلى استعمال المفردات مما وُردتْ في القرآن الكريم. كأسماء الله تعالى وصفاته أو أسماء الملائكة أو بعض الألفاظ الدينية.

- ومن أمثلة اسم الجلالة وصفاته: البارئ، الخالق، الكمال، المجيب، الرؤوف، الرحيم، الرّبّ، الرحمن، العفو، العلي، الغفور، القدير، الكريم، المهيمن، ذو الجلال في بعض قصائده. وهو يقول في مناجاته

يا كريم هبلي الله = مع جفاء جهلي اللـــه
كم رجاك مثلي لم يخب رجاه
خالق البرايا الله = واهب العطايا اللـــــه
دافع المصائب فاستجب دعائي الله
أنت ذو الجلال الله = أنت ذو الكمال اللـــه
أنت ذو الفضائل أنت ذو النوال الله[21]

اجتمعت في هذه الأبيات الشعرية، اسم الجلالة (الله) وبعض صفاته مثل كريم، خالقٌ، واهبٌ دافعٌ، كمالٌ، ذو الجلال. ومن مصداقها في القرآن ما يلي:

كريم – "...وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ" (النمل/40)

خالق–" قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" (الرعد/16)

دافع–" مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ، يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا" (الطور/8)

ذو الجلال–"تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ" (الرحمن/78)

- **استعمال الألفاظ الدينية**

توجد في ديوان الإلوري بعض الألفاظ التي تتعلق بالأمور الدينية الواردة في القرآن الكريم مثل: القرآن، التّقى، المؤمنون، المسلمون، الأبرار، الصّالحون، الميزان، الغفران، الشّيطان، الإيمان، الصّوم، الصلاة، القرآن، الدّعوة، الدّعاء، وما إلى ذلك. وهو يقول مثلا:

دعوته ودعاه لـي = أهل التّقى من رجال ديني

بطول عمر وصحة = لنفع أبناء المـــــــسلمين[22]

ومصداق هذا النّص قوله تعالى: وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ (سورة الحج/78)

فلا ترجعوا عن سلوك الهدى = وفى قصص الأولين العبر

مع الله في بعثة المرسليـــن = هداة دعاة إلى مـــا أمر[23]

وفى هذين البيتين لفظ الهدى، والدّعاة، والمرسلين. وفى القرآن الكريم يوجد لفظ "الهدى" "قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى" (البقرة/120) ولفظ "المرسلين": "تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ" (البقرة/ 252)

آيات وعد من القرآن قد وردت = بنصر ربك يأتي منه كالعجب[24]

يقول الله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" (سورة الحجر/ 87)

- **استعمال المفردتين المجاورتين**: في هذا القسم يوجد في ديوان الإلوري المفردتان المتجاورتان من القرآن بصوره المتنوعة. إمّا المضاف والمضاف إليه، والصّفة والموصوف، أو الجار والمجرور. وفيما يلي بعض الأمثلة في ذلك :

بحق قرآنك الذي نزلا = ليلة القدر من وفى وعفا[25]

قال الله تعالى " إنا أنزلناه في ليلة القدر (سورة القدر/1)

فإن وراء الموت دارين فيهما = عذاب مقيم أو نعيم مسرمد[26]

يقول الله تعالى " ...مَنْ يأْتِيهِ عَذَابٌ يخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ" (سورة هود/40)

وكل هذا بمن ربي الـ = منان ذي القوة المتين[27]

يقول الله تعالى " إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" سورة الذريات/58)

- **استعمال المفردتين المجاورتين مع تغيير**: يسعي الإلوري إلى استخدام المفردتين المتجاورتين من القرآن الكريم مع تغيير يسير للضرورة الشّعرية والقافية. مثلاُ

لكن على غير جدوى في الحياة وقد = ظلت معيشتنا ضنكاً على الفشل[28]

وأصل هذا النّص في القرآن قوله تعالى: " وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا" (سورة طه/124)

وقفت هنا أيا شيخي نماجي = حباك الله بالقول السلام[29]

وأصل هذا النّص في القرآن قوله تعالى: " سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ" (سورة يس/ 58) ولكنه قدّم القول على السلام ثمّ جعلهما معرفتين بدلاً من النكرتين.

2. استعمال الجمل من القرآن

وردت في ديوان الإلوري الجمل بأنواعها مأخوذة من القرآن الكريم، إما الجملة الفعلية أو الاسمية، أو شبه الجملة. أو الجمل التي غَيرَ أبنيتها.

- **الجملة الفعلية** : قال الإلوري مثلاً

فاقرأ قول الله أكبر = إنا أعطيناك الكوثر[30]

فإن التّناص القرآني المستورد بصورته الكامل في نصوص هذا الشعر هو قوله تعالى: " إنا أعطيناك الكوثر" (سورة الكوثر/ 1)

أ وكيل الأزهر لا تحزن = يجزيك الله على التعب[31]

والقرآن يقول: "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَّ مَعَنَا" (التوبة/40)

لحكم إله الناس كن أنت راضيا = وسبح بحمد الله والله يحمد[32]

يقول الله تعالى: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ" (سورة: غافر/55)

- **الجملة الاسمية**

أوصل السلاما الله = لأهل السلام الله

بدار السلام تحية وسلاما الله[33]

وأصل هذه الجملة في القرآن هو قوله تعالى: "أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاَمًا" (سورة الفرقان/57)

الحمد لله الذي قد زادني = علم الفنون فوق من أرشدني[34]

يوجد هذه الجملة في القرآن حيث يقول الله تعالى: "الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ" (الأنعام/1)

- **شبه الجملة**

كنت فريد صرت عديدا = يا ليت قومي يعلمون

بـأن ربـي أعزنـي = لعـلهم يتذكرون[35]

فإن النّصوص المستوردة في هاتين البيتين هو قوله تعالى في القرآن الكريم: "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ" (يس/26) وقال أيضاً "وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ" (الزمر/26)

منهم حبيب النجار يدعو = يا قومي اتبعوا المرسلين

صاروا من السعداء حقـا = على الأرائك ينظرون[36]

ومصداق هذا النّصوص القرآنية قوله تعالى " قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ" (سورة يس/20) وله أيضاً "عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ" (سور المطففين/22)

- **الجملة القرآنية المتغيرة**

قام الإلوري في هذا القسم باستعمال بعض الجمل الكاملة من القرآن الكريم مع تغيير يسير في ألفاظه للضرورة الشعرية. ومن أمثلة ذلك قوله:

إن كنتَ من قال أدعوا استجب لكم = فارحم عبيدك ذا النجوى وذا الزلل[37]

وأصل هذا النّص في القرآن هو قوله "وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم" (الغافر/60) ولكن الشاعر غيرّ هذا النّص، وجاء بـ أدعوا بدلاً من ادعوني، ثمّ زاد فيها "لكم" في أستجب بدلاً من أستجب.

ليتني كنت جمادا = أو نباتا أو ترابا[38]

وأصل هذا النص الشعر في قول القرآن حيث يقول الله تعالى "يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً" (سورة النبأ/ 40) فإنه قام الترتيب الآخر "جمادا ونباتا على تراب"

بمن نوّر الأفلاك في عليائه = بمن رفع السبع الطباق العوايا[39]

والقرآن يقول "أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا" سورة نوح/14) فقد حذف فيها الإلوري لفظة "السماوات" وجاء بـ السبع الطباق

قد زاده مولاه بسطة جسمه = لزعامة ورئاسة لا يدفع[40]

وفي القرآن " وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُّ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُّ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (بقرة/247) ولكن الشاعر قد خذف منها لفظتي "في العلم" ثمّ أضاف ضمير الهاء في الجسم

وقل لهموا إني أعود إليهموا = إذا عسعس الليل تر الصبح آتيا[41]

يقول الله تعالى "وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ، وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (سورة التكوير/16)

يريدون إطفاء نور الإله = فما ساغ قط بنفخ الهبوب[42]

قال الله تعالى في محكم كتابه "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهَّ بِأَفْوَاهِهِمْ" سورة التوبة/32) هنا أتي الإلوري بالمصدر للفظة "إطفاء" بدلا من "يطفئون"

- **الجملة المقلوبة**: يسعي الإلوري إلى استعمال بعض الجمل من القرآن ثمّ يقوم بتبديل بعض ألفاظها بمترادفات أخرى. ومن الأمثلة ذلك قوله:

وصل وسلم بالعشية والضحى = على خير خلق الله وهو محمد[43]

وحقيقة هذا النّص الشّعري في القرآن هو قوله تعالى "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ" (سورة آل عمران/41) ولكن الشاعر قد أتى بلفظة الضحى بدلاً من الإبكار إذ كل منهما يفيد نفس شيء. فالإبكار يفيد أول النهار إلى طلوع الشّمس والضحى هو أول السّاعات من النّهار.

بالله لا تيأس من رحمة الله قربت = للمحسنين فأمر الله بالسبب[44]

الله يقول "أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ" (سورة الزمر/53) فقد بدل الإلوري لفظ "تقنظ" كما جات في القرآن بالفظ "تيأس" إذ أن لفظ يأس وقنط يفيد نفس المعني هو إلياس من شيء.[44]

ألما مات أنتم خالدون = فكل النفس ذائقة الحمام[45]

وفي قوله تعالى " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" سورة الأنعام/ 35) إن لفظ الحمام والموت نفس المعنى في المعاجم العربية.

الخاتمة

تناولنا في هذه المقالة المتواضعة كشف مفهوم التّناص في الدّراسات الأدبية النقدية الغربية والعربية وظاهرة التناص القرآني لدى الشعراء العرب. ثمّ بإبراز تجليات التناص القرآني واتجاهاته في ديوان الإلوري. فقد خلصنا إلى أن الإلوري علم من أعلام الأدباء في الديار النيجيرية، وله عدة الإنتاجات الأدبية نظماً ونثراً، ومع أنه غير مشهور بالشعر إلا أن له عدة قصائد تمتاز بالتقنيات الفنيّة الرائعة العديدة. فقد استثمر الإلوري التناص القرآنى بنوعيه الموضوعي والشكلي لإظهار المفاهيم الإسلامية والعبر في أسلوب كتابته. فإن دلّ هذا، فإنه يدلّ على أنه أديب إسلامي كان القرآن مصدر أفكاره ومرجعه، إذ القرآن منبع لا تنقضي عجائبه على مر الأيام والدهور.

المراجع والهوامش

1. محمد زبير عباسي، التناص: مفهومه وخطر تطبيقه على القرآن الكريم، رسالة الدكتوراه، جامعة الإسلامية العالمية، إسلام أباد، 2014م، ص 30
2. محمد عزام، **شعرية الخطاب السردي**، دمشق، اتحاد الكاب العرب، 2005م، ص 116
3. ابن دريد الأزدي، **جمهرة اللغة**، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، جـ 1، 1932م ، ص 103
4. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (د/ت) **لسان العرب**، بيرةت، دار صادر،ج 7 مادة نص، (التاريخ غير مذكور)، ص 97-98
5. مصطفى إبراهيم وأخرون، **المعجم الوسيط**،بيروت، مجمع اللغة العربية، دار أحياء التراث العربي، (غير مؤرخ
6. محمد عزام، **النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي**، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 2001م، ص 29.
7. عبد الله الغذامي، **الخطيئة من البنيوية إلى التشريحية**، جدة، النادي الأدبي الثقافي، 1985م ، ص 320، نقلا من مقالة " التناص القرآني في شعر غادة السمان" لـ شازد كريم عثمان ولمياء ياسين حمزة. نقلا في اليوم 2019/03/02م في www.alarabiaconference.org
8. مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعرى: استراتيجية التناص**، الطبعة الثالثة، مصر، الدار البيضاء، 1992م. نقلا من نعيم عموري (2017م) التناص القرآني في أشعار أديب كمال الدين، مجلة مركز دراسات الكوفة: مجلة فصيلة محكمة، العدد 47، ص 205
9. نعيم عموري، "التناص القرآني في أشعار أديب كمال الدين"، **مجلة مركز دراسات الكوفة**: مجلة فصلية محكمة، العدد 47، ص 208، وانظر أيضاً الأسدي عبد الستار،"ماهية التناص" في **مجلة الرافد**، 2000م، ص 14
10. ابن رشيق القيرواني، علي بن الحسن، **العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده** .بيروت، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، 2001م، ص 280
11. خليل برويني ونعيم عمروى، التناص القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ، في **آفاق الحضارة الإسلامية الأكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافة**، السنة الثالثة عشر، العدد الثاني، 1431هـ، ص 151

12. محمد زغلول سلام، **أثر القرآن في تطور النقد العربي إلي آخر القرن الرابع الهجري**، ط/1، الإسكندرية، مكتبة الشباب، 1952م، ص: 9
13. محمّد محمّد أبو شهبة، **المدخل للدّراسات القرآنية**، الطبعة الثانية، الرّياض، دار اللواء، 1987م، ص. 34
14. لزيادة عن حياة الشيخ آدم راجع **كتاب الشيخ آدم عبد الله الألورى في موكب الخالدين**، تحقيق عبد الرزاق ديريمي أبوبكر وغيره، 2012،
15. محمد ثوبان عبد الله الإلوري، **ديوان العلامة آدم عبد الله الإلوري**، الطبعة الأولي، أوتوبو أغيغي نيجيريا ، من منشورات مركز العلوم العربية والإسلامية، 2010م، ص 19
16. المرجع نفسه، ص 19
17. المرجع نفسه ، ص 19
18. المرجع نفسه ، ص 18
19. المرجع نفسه ، ص 18
20. المرجع نفسه ، ص 24
21. المرجع نفسه، مناجاته يا كريم هب لي" ص 45
22. المرجع نفسه، مناجاته التي يبث فيها شكواه لربه، ص 38
23. المرجع نفسه ، 19
24. المرجع نفسه، ص 15
25. المرجع نفسه، قصيدة الله يرحمه الله يكرمه، ص 20
26. المرجع نفسه، قصيدة الدالية، ص 18
27. المرجع نفسه، ص 38
28. المرجع نفسه، قصيدة المناجاة، ص 24
29. المرجع نفسه، قصيدة ترحيبية للشيخ الأزهر قالها في 1980م ص 21،
30. المرجع نفسه، "قصيدة قالها لتوضيع وكيل الأزهر، 1988/6/2م، ص 16
31. المرجع نفسه، ص 18
32. المرجع نفسه، ص 46
33. المرجع نفسه، ص 50

34. المرجع نفسه، المناجاة 38،
35. المرجع نفسه، ص 39
36. المرجع نفسه، قصيدة مناجاة الإلوري سمي بـ هل أجبروك ص 24
37. المرجع نفسه، ص 24
38. المرجع نفسه، ص 30
39. المرجع نفسه، قصيدة عينية، ص 22
40. المرجع نفسه، قصيدة وكم ليلة قد بتها نابغة، ص 39،
41. المرجع نفسه، ص 14
42. المرجع نفسه، ص 18
43. المرجع نفسه، قصيدة هو السفير لأهل الدين ينصرهم ص 15.
44. أنظر: www.almaany.com مادة قنط
45. المرجع السابق، قصيدة مرثية للشيخ آدم نمعجي، عام 1944م، ص 32